

اللغة العربية في التعليم العالي

(أقسام اللغة العربية)

الدكتورة خلود العموش

الجامعة الهاشمية

الأربعاء ٩ تشرين الثاني ٢٠١٦ م



"لا سبيل إلى معرفة الأشياء إلا بتوسط اللغة"

ابن حزم

"اللغة هي خارطة الطريق للثقافة، وهي التي تخبرك من أين يأتي الناس  
وإلى أين هم ذاهبون"

ريتا براون

## مقدمة:

تصدر هذه الورقة عن فكرة مسبقة قوامها أن العربية ليست بخير في واقع الاستعمال في حياتنا التعليمية جميعاً، والأمر نفسه ينطبق على واقع الحال في أقسام اللغة العربية في المملكة الأردنية الهاشمية. ومردّ هذه الفكرة عشرات الأوراق العلمية التي قدمت في مؤتمرات مشابهة من جهة، ومعايشة واقع هذه الأقسام معايشة مباشرة من جهة أخرى من خلال تجربة الباحثة في أحد هذه الأقسام منذ عام ١٩٩٥ وحتى الآن.

ولأن "الإبداع هو حاجتنا العظمى، أما إطلاق سراحه فمردود إلى النقد والنقد الذاتي"<sup>(١)</sup> كما يقول ديوي؛ فإننا نقول: إن أقسام اللغة العربية بحاجة إلى التدابير المنهجية التي يتيحها التخطيط اللغوي؛ إذ إن وصف الواقع هو أول خطوة في التخطيط اللغوي السليم، لكننا لا يجب أن نسترسل في هذا الوصف طويلاً؛ لأننا نقف حقاً على كثير من تفاصيل هذا الواقع دون إجراء مزيد من الدراسات، وعلينا أن ننصرف سريعاً إلى معالجة هذا الواقع مباشرة؛ فالأمر لا يحتمل مزيداً من الانتظار.

إن توصيف الحال هو الخطوة الأولى، وتبويب مواضع القصور وحصرها هو الخطوة الثانية، ومن ثم تأتي مراحل العلاج. ووفقاً لهذا فإن هذه الورقة ستقع في محورين:

**الأول: توصيف الحال في أقسام اللغة العربية.**

**الثاني: مقترحات عملية للارتقاء بواقع هذه الأقسام في تعليم العربية.**

**أولاً: توصيف الحال.**

سيكون هذا التوصيف عاماً وشاملاً وسريعاً، وسنكتفي بالأمثلة الدالة السريعة من واقع هذه الأقسام، وسيشتمل هذا التوصيف على الجوانب الآتية:

- الخطط الدراسية لمرحلة البكالوريوس في أقسام اللغة العربية.
- أعضاء هيئة التدريس.
- الطلبة.
- النشاطات المرافقة.
- برامج الدراسات العليا في هذه الأقسام.
- امتحان الكفاية الجامعية.

وسيجري عرضها وفقاً لهذا التسلسل في مفردات هذا المحور.

#### الخطط الدراسية لمرحلة البكالوريوس في أقسام اللغة العربية:

هنالك ثماني جامعات رسمية تمنح درجة البكالوريوس في اللغة العربية

وآدابها في الأردن، هي:

- الجامعة الأردنية
- جامعة اليرموك
- الجامعة الهاشمية
- جامعة آل البيت
- جامعة البلقاء التطبيقية/ كلية الأميرة عالية
- جامعة الحسين بن طلال
- جامعة مؤتة
- جامعة الطفيلة التقنية

وقد أجرت الباحثة دراستها على خطط أقسام اللغة العربية في هذه الجامعات الثماني، واختارت معها جامعتين من الجامعات الخاصة هما: "جامعة جرش الأهلية" و"جامعة الزرقاء الأهلية"؛ ليكون ذلك نموذجاً تطبيقياً للدراسة في موضوع الخطط الدراسية.

وخلصت الباحثة إلى النتائج الآتية بعد الدراسة الفاحصة لهذه الخطط:

١. أن هذه الخطط لم تُبنَ على رؤية جمعية واحدة يشارك في وضعها أصحاب الخبرات العالية من أساتذة اللغة العربية، بل اجتهدت كل جامعة وحدها أن تضع خطتها وفقاً لرؤى أعضاء هيئة التدريس فيها من غير تنسيق مع بقية أقسام اللغة العربية في الأردن، ومن غير مظلة جامعة لكل هذه الأقسام.

٢. تباين الأهداف التي صدرت عنها هذه الخطط، بل غيابها أحياناً؛ فقلماً صدرت هذه الخطط بالأهداف التي انبثقت عنها مفرداتها، وإن، فمن الصعب أن يقرر المرء إن كانت مفردات هذه الخطط ستؤتي أكلها وتحقق أهدافها، وذلك بسبب غياب البوصلة الرابطة بين مفردات هذه الخطط والأهداف المتوخاة منها.

٣. هناك تباين واضح في متطلبات الكلية في خطط هذه الأقسام؛ وذلك وفقاً للأقسام الأخرى الموجودة في كليات الآداب التي تنتسب إليها هذه الأقسام في هذه الجامعات التسع، وليس وفقاً لخطة مدروسة حول الأفق الثقافي والعلمي الذي يفترض بطلبة الآداب عموماً وطلبة اللغة العربية على وجه التعيين، أن يصدروا عنه؛ فهذه المتطلبات تتفاوت عدداً من قسم لآخر، وتتفاوت من ناحية العلوم التي تغطيها، فنجد على وجه التمثيل المسافات الإيجابية الآتية في متطلبات كلية الآداب في الجامعة الأردنية (٢٤ ساعة):

- منهج قراءة النص العربي.
  - مدخل لدراسة التاريخ.
  - فلسفة العلوم الاجتماعية والإنسانية.
  - مدخل إلى الجغرافيا.
  - مدخل إلى علم الاجتماع.
  - الأسس النفسية للسلوك الاجتماعي.
  - مبادئ العلوم السياسية.
  - مهارات حاسوبية (٢) إنسانية.
- ونجد في متطلبات كلية الآداب في جامعة الحسين مجموعتين:
- المتطلبات الإجبارية: (٥ ساعة):
    ١. مبادئ العلوم السياسية.
    ٢. حقوق الإنسان في الإسلام.
    ٣. مبادئ في النحو والصرف.
    ٤. مهارات دراسية باللغة الإنجليزية.
    ٥. استرجاع المعلومات الرقمية في العلوم.
  - المتطلبات الاختيارية (٦ ساعات) يختارها الطالب مما يأتي:
    ١. اللغة الفرنسية للمبتدئين.
    ٢. أساسيات في اللغة الكورية.
    ٣. مهارات سمعية شفوية باللغة الإنجليزية.
    ٤. تحليل النصوص وتذوقها.
    ٥. الخدمات المرجعية في العلوم الإنسانية.
    ٦. النظام السياسي الأردني.

٧. السيرة النبوية.
٨. البيان القرآني والنبوي.
- ونجد متطلبات الكلية الآتية في الجامعة الهاشمية وكلها إجبارية (٢١ ساعة):
  ١. مهارات حاسوب (إنسانية).
  ٢. مدخل إلى الفلسفة.
  ٣. تاريخ العرب والمسلمين.
  ٤. الاستشراق.
  ٥. تذوق النص الأدبي.
  ٦. فن الكتابة والتعبير.
  ٧. قراءة (باللغة الإنجليزية).

وفي جامعة اليرموك نجد متطلبات الكلية تنقسم إلى مجموعتين:

- الإلبارية (١٥ ساعة) معتمدة هي:
  ١. مدخل إلى علم الاجتماع.
  ٢. مهارات لغوية.
  ٣. فن الكتابة والتعبير.
  ٤. تاريخ الحضارة الإسلامية.
  ٥. البرمجة بلغة مختارة.
  ٦. مهارات الحاسوب (٢).
- متطلبات الكلية الاختيارية ٣ ساعات يختارها الطالب من خارج القسم (دون تحديد).

والمقصد أن يعين واضعو خطط كليات الآداب الإطار المعرفي والثقافي الجامع لخريجي كليات الآداب، وذلك من خلال تدريس العلوم اللصيقة بهذا



الإطار، ومنها: الفلسفة، والتاريخ، والاجتماع، واللغات الأخرى، ومهارات تذوق النص، وفنون الكتابة، ومبادئ العلوم السياسية، والدراسات الإسلامية، وغيرها.

٤. تباين أسماء المساقات وعدم الاتفاق على مضمونها وإن تشابه وصفها.

٥. المساقات الموجودة في الخطط الدراسية هي نفسها منذ أمد بعيد، ولم يجر تعديلها أو تغييرها في ضوء التطور النوعي في علوم اللغة ونظريات الأدب؛ فقلما وجدنا مكاناً للنظريات والعلوم الجديدة في هذا المجال كالسيمائية، والتداولية، وعلم اللغة الاجتماعي، وعلم اللغة النفسي، ونحو النص وتحليل الخطاب، والآفاق الجديدة لنظريات الأدب؛ مما ينتج طالباً منبتاً عن عصره؛ فينبغي الموازنة بين القديم والحديث بنسبة معقولة.

٦. كما أن هناك فصاماً نكداً بين اللغة والأدب في هذه الخطط، مع أن الأمر لا يحتمل هذه القسمة الجائرة؛ فاللغة مادة الأدب، وفي العلوم اللغوية الحديثة أضحت الحقول البيئية ظاهرة تستحق الوقوف.

٧. هناك انفصام حاد بين النظرية والتطبيق، والمواد التطبيقية قليلة جداً في هذه الخطط؛ سواء أكان ذلك في النحو أو الصرف أو المعجم أو النقد أو البلاغة أو الصوتيات وغيرها من العلوم؛ ولذا فليس غريباً أن تجد طالباً يحصل على (+) في النحو ثم تجده بعد ذلك يرفع المنسوب وينصب المرفوع ويخطئ في بدهيات نظم الجملة، أو آخر يحصل على (+) في النقد الحديث ثم لا يستطيع تطبيق نظرية نقدية واحدة على نص من النصوص، أو يحصل ثالث على (+) في فن الكتابة والتعبير ثم هو يوكل أمر كتابة استدعاء تافه لكاكتب استدعاءات لا يكاد يفك الحرف.

٨. ما زلنا مصرين على القسمة التاريخية لعصور الأدب؛ بصورة تجعلك محكوماً لهذا العدد الكبير من المساقات دون قدرة على دمج بعضها في بعض، وعلى حساب مواد يجب أن تظهر في الخطة ولا نجد لها مكاناً.

فمثلاً، لماذا الإصرار على الأدب الجاهلي ثم الإسلامي والأموي ثم العباسي ثم الأندلسي ثم أدب العصور المتتابعة فالأدب الحديث؟ ألا يمكننا أن نقول: "الأدب العربي القديم" ونختار نصاً أو نصين لكل مرحلة بحيث تكون دالة على عصرها وسياقها؟ ثم أليس من الواجب أن يكون للأدب الحديث حصته الواضحة باعتبارنا أبناء عصرنا أيضاً؟

وفي هذا الإطار يرسم د. إسماعيل عمايرة صورة بانورامية لأقسام اللغة العربية، ويصفها بأنها تركز على الكم على حساب الكيف، وأنها تعاني من التقهيط والتجزئ في خطتها على حساب الرؤية الشاملة، ويضرب لذلك مثلاً من التجزيء الحاصل في مواد الأدب؛ فالأستاذ يخوض في خضم الزمان والمكان؛ فالأدب مشتت إلى عصور وأمكنة: الأدب الجاهلي، والأدب الإسلامي، أدب مصر والشام، الأدب في الأردن وفلسطين. وانسأقت الخطط الدراسية وراء هذا التجزيء؛ فاستغرق منها معظم الساعات التي يمكن للطلاب أن يقضيها في الجامعة، وكان ذلك على حساب مواد أخرى قل نصيبها كاللغة وبعض المواد المساندة للتخصص.<sup>(٢)</sup>

٩. إن علينا أن نعنى في بناء الخطط الدراسية في هذه الأقسام بسؤال اللغة وعلاقتها بالحياة؛ فاللغة كما وصفها (ديكارت) "من أهم خصائص العقل الإنساني، وهي أدانتنا في ترجمة ما في ضمائرنا من معانٍ لتستحيل إلى أدوات تشكّل الحياة".<sup>(٣)</sup> يقول (والت وايتمان): "ليست اللغة بناءً مجرداً من صنع المتعلمين ومؤلفي القواميس، إنها كيان ينبثق عن العمل ومن احتياجات المجتمع وروابطه وأفراحه وأذواقه، ومن رغبات جيل من البشر. إن قاعدتها الأساسية لصيقة بالأرض وبالواقع"<sup>(٤)</sup>. وهذا ملمح يعاظم أهمية اللغة ويجعلها سمتاً لعقيدة المرء وفكره وفلسفته في الحياة؛ ولذا فإن على خططنا الدراسية أن تعالج ذلك.

١٠. هناك تباين في عدد الساعات المخصصة لمتطلبات التخصص الإجبارية والاختيارية والمساندة في خطط هذه الأقسام، والجدول الآتي يظهر هذا التباين:

**توزيع متطلبات التخصص الإجبارية والاختيارية والمساندة في بعض  
الجامعات الأردنية**

| الجامعة               | متطلبات التخصص<br>الإجبارية بالساعات<br>المعتمدة | متطلبات التخصص<br>الاختيارية بالساعات<br>المعتمدة             | متطلبات التخصص<br>المساندة بالساعات<br>المعتمدة |
|-----------------------|--|---|---|
| جامعة جرش             | ٧٨   | ٦   | -   |
| جامعة الزرقاء         | ٦٩   | ٦   | ٦   |
| جامعة الإسراء         | ٦٩   | ٩   | ٩   |
| جامعة الحسين          | ٦٩   | ٩   | ٣   |
| الجامعة الأردنية      | ٦٠   | ٢٧  | -   |
| الجامعة الهاشمية      | ٦٦   | ١٥  | -   |
| جامعة آل البيت        | ٥٧   | مجموعتان: يختار<br>الطالب منهما<br>أ. الأدب: ٩<br>ب. اللغة: ٩ | -   |
| جامعة اليرموك         | ٦٩   | ١٢  | ٦   |
| جامعة مؤتة            | ٦٩   | ١٨ موزعة على ثلاث<br>مجموعات ٦ ساعات<br>لكل مجموعة            | -   |
| جامعة الطفيلة التقنية | ٧٢   | ١٢  | ٦   |

**أعضاء هيئة التدريس في أقسام اللغة العربية:**

١. لا نجد تنوعاً لأعضاء هيئة التدريس في أقسام اللغة العربية يمكن أن يغني هذه الأقسام ويغني تجاربها؛ فأغلبهم خريجو الجامعات الأردنية، وقليل منهم

من خريجي الجامعات العربية المجاورة كبغداد ودمشق والأزهر، وليس هذا عيباً في حد ذاته، بل هي ملاحظة قد يكون لها دلالتها.

٢. لا يلتزم أعضاء هيئة التدريس كلهم في هذه الأقسام الحديث بالفصحى في الصفوف وهو مطلب ضروري، ونسي بعضهم أنه قدوة لطلابه في هذا الشأن.

٣. لا يحمل أكثر هؤلاء الزملاء مشروعاً واضحاً من أجل إعادة الفصحى إلى الحياة من مثل توظيفها في مواقف الأداء المختلفة، أو تشكيل الجمعيات والأندية اللغوية في داخل الجامعات من مثل: فكرة "فرسان الضاد"، أو من خلال المسابقات الإبداعية التي يجرونها للطلبة، أو من خلال النشاطات العلمية التي ترافق عملهم في هذه الأقسام.

٤. لدى بعض أولئك الزملاء ضعف في الجانب العلمي، وضعف في مواكبة التطور في حركة العلوم اللغوية والنظريات الأدبية، وكذلك في الجانب الثقافي عموماً.

٥. تتمحور الحركة العلمية لأولئك الزملاء على إنجاز بحوث لغايات الترقية، ولا تصدر هذه البحوث عن مشاريع واضحة لما تحتاجه العربية باعتبارها لغة الحياة، بل إنها بحوث تنحو منحىً نظرياً وضمن موضوعات فلسفية وليس وفق خط بحثي واضح يغطي ما تحتاجه هذه اللغة من جوانب في البحث تعيدها لتكون لغة الحياة؛ فهناك مساحة شاسعة بين بحوثهم والحياة، وهم لا يجيبون عن سؤال: جدوى البحث اللغوي في مجال اللغة: في الاقتصاد، والإعلام، والحياة الاجتماعية، وغيرها.

٦. العلامات التي يضعونها لطلبتهم لا تعكس المستويات العلمية الحقيقية للطلبة؛ فقد تجد طالباً قد تخرج في أحد هذه الأقسام بتقدير امتياز، ثم هو غير

قادر على ارتجال جملة واحدة دون لحن؛ فلا ضوابط واضحة تحكم عمليات التقويم في هذه الأقسام.

٧. لا تجد أثراً واضحاً لوجود قسم للغة العربية في الجامعة التي يكون هذا القسم فيها؛ فيفترض أن قسماً واحداً للغة العربية في أية جامعة معناه أن تنطق الجامعة بحب العربية. إننا لا نكاد نلمح هذا الأثر الإيجابي لوجود هذه الأقسام في جامعاتنا، فهل وجدنا قسماً واحداً استحدث خطأ ساخناً لخدمة "قفا نصح" مثلاً؟ ولا يتم في هذه الأقسام شحن الطلبة بفكرة أن اللغة هي من أهم وسائل حماية خصوصيتنا الثقافية.

٨. وحول مناهج أولئك الأساتذة يقول د. إسماعيل عمايرة: "أما أعضاء هيئة التدريس؛ فبعضهم لا يملك الرؤية ولا يملك المنهج، وأقسام العربية تحتاج أن يتوافر فيها نفرٌ من الأساتذة الذين يمتلكون الهدف والمنهج والوسيلة".<sup>(٥)</sup> ويصف د. عمايرة الصورة بأنها: "مبكية؛ ففي كثير من جامعاتنا لا يعرف الطلاب أساتذتهم بقدراتهم، وإنما يقترب الطالب من أستاذه لاعتقاده أنه سيحصل على الدرجة بأقل تكلفة وبأخف إشراف وتوجيه، وإن لم يكن إشراف وتوجيه، عند بعضهم، فهو أفضل".<sup>(٦)</sup>

#### ٩. الطلبة

قيل قديماً: "حسن الاختيار يقي المصارع"؛ فإن المدخلات الجيدة تفضي إلى مخرجات جيدة دائماً. وأقسام اللغة العربية تستقبل في العادة أضعف الطلبة، وهم لا يأتونها مختارين بل مكرهين بحسب قيد المعدل. وقلماً وجدنا طالباً متميزاً في معدل الثانوية العامة يقصد هذه الأقسام، فمن الطبيعي أن يكون الحصاد مرّاً؛ فالمخرجات ستكون متسقة مع المدخلات، ومهما بُذل من جهد في الارتقاء بها فإن الناتج سيكون سلبياً.

ولا يبذل هؤلاء الطلبة جهداً كبيراً في الارتقاء بأنفسهم وتطويرها ليصبحوا أحسن، بل شعارهم دائماً: ليس بالإمكان أحسن مما كان، ولذلك نجد

خريجي هذه الأقسام، عموماً، يعانون من ضعف رهيب؛ إن في بنيتهم المعرفية أو في أداءاتهم، أو في قدرتهم على توظيف ما درسوه في مواقف الأداء المختلفة، وفي قدراتهم البحثية واستخراج المعلومة من مظانها، وقلماً وجدنا طالباً منهم يلتزم الفصحى في حديثه وفي معاملته، وكم من طالب في هذه الأقسام قد أنهى المرحلة الجامعية دون أن يستعير كتاباً واحداً من المكتبة، مقتصراً على ما يمكن أن يجتزئه من فراغ نفسه أثناء المحاضرة حتى يحصل على ما تركه صدى صوت الأستاذ وتكرره من أصداء معلومات لا تستقر بوثوق في النفس، ولكنها تكفي مع شيء من استدرار العطف لوضعه في مصاف الناجحين.

وتشير الأستاذة بنت الشاطيء، في أمد بعيد عن يومنا هذا، إلى حال خريجي أقسام اللغة العربية عموماً تقول: "قد يمضي المتعلم في الطريق التعليمي إلى آخر الشوط فيخرج في الجامعة وهو لا يستطيع أن يكتب خطاباً بسيطاً بلغة قومه".<sup>(٧)</sup> فماذا نقول عن خريجي هذه الأيام؟ ترانا نخبرها (الأستاذة بنت الشاطيء) أن طموحنا اليوم لا يعدو أن يكتب الطالب جملة واحدة صحيحة دون لحن وليس خطاباً كاملاً؟

إنهم يعانون ضعفاً في القراءة والكتابة والنحو والمحادثة، وحسبي أن أشير إلى وصف أستاذنا د. نهاد الموسى لحال القراءة لدى طلبة قسم اللغة العربية يقول: "كنت إذا طلبت إلى أحد الطلبة في قسم اللغة العربية وآدابها أن يقرأ نصاً كأنما أوقع نفسي في ورطة كبرى، كنت أشعر والطالب ينطلق في قراءة النص كأنني في سيارة ينطلق بها سائق فقد السيطرة عليها وهي تتسارع بنا إلى قاع وادٍ سحيق؛ إذ كانت الأخطاء تترى على نحو يتعذر السيطرة عليه؛ فهو يقرأ وكأنه لا يقرأ، يحول الرموز المكتوبة بين يديه كيفما اتفق، لا يبالي أفهم أم لم

يفهم، بل يقرأ دون أن تعني له قراءته أنه مسؤول عن فهم ما قرأ؛ فقد يقرأ نصاً غريباً جريئاً أو نصاً يدعو مضمونه إلى الأسى أو نصاً يستضحك الثكلى، فيمر به على إيقاع صوتي رتيب دون أن يبدي أي انفعال على أي نحو، وهو يضبط الألفاظ على وفق ما يحضره في ضبطها، وهو يغفل عن تصحيح الإعراب حتى إعراب المواضع الأولية الواضحة التي يعرف قواعدها، لا ريب، لو سئل عنها سؤالاً مجرداً مباشراً؛ إذ تتخسف لديه هوة عميقة بين النظرية والتطبيق أو بين المعرفة والأداء".<sup>(٨)</sup> إن تكوين خريج اللغة العربية لا يتم حالياً ضمن رؤية كلية شاملة، تربط بين مكونات البرامج وتكامل بينها.

#### النشاطات المرافقة:

لا نجد خطة شاملة في هذه الأقسام للنشاطات المرافقة للخطة الدراسية؛ فمثلاً لا نجد تدريباً واضحاً للطلبة في المجال المعجمي، وفي تقديم مواد ثقافية نافعة بما يعزز الأداء، أو التدريب على جوانب الإبداع المختلفة في الكتابة المسرحية والشعر والنثر وفي التدريب على الأداء الإعلامي وفنون الإلقاء؛ فينبغي أن تكون هناك خطة واضحة للتدريب على توظيف العربية في الإعلان والإعلام والمسرح، وغيرها، وأن يكون هنالك مجلة لإنتاج الطلبة يودعونها إبداعاتهم وكتابتهم وأحاديثهم عن قضايا العربية في عصر العولمة، وأن يلحق بكل قسم مخبراً علمياً يشتمل على مسرح وغرفة للتحليل وغيرها ...

#### امتحان الكفاءة الجامعية:

تُجري هيئة الاعتماد في وزارة التعليم العالي امتحاناً للكفاءة الجامعية في مستويات ثلاثة:

**المستوى العام:** وهو موجه للكفايات العامة التي يفترض بخريج الجامعة، من أي تخصص، أن يكون قد استوفاهما من مثل: القدرة على التفكير، والتعامل

مع المعطيات وبدهيات البحث العلمي، وتوظيف البيانات في صياغة موقف ما، والقدرة على التحليل والتفكير الناقد، وغيرها.

**ومستوى وسيط:** وهو موجه للكفايات التي يفترض توافرها في خريج كلية ما، كالآداب مثلاً أو الهندسة، بغض النظر عن قسمه في تلك الكلية، وهو يفترض وجود كفايات معرفية لكل مجال؛ فمثلاً يفترضون في طالب الآداب أن يقف على حد أدنى من معرفة بالأدب العالمي وعصوره وأشهر أعلامه، والإلمام بالترجمة، وحركة الترجمة وأنواعها، ومعرفة من نوع ما بالأدب المقارن وأنواع السيرة الذاتية وغيرها من الكفايات.

**ومستوى ثالث متخصص:** ويتصل مباشرة بحقل التخصص الدقيق، كالعربية مثلاً، ويقنضي الإلمام بالكفايات المطلوبة من خريج هذا التخصص. ويعد التقدم لهذه الامتحانات الثلاثة شرطاً من شروط التخرج، ولا يشترط النجاح فيها، بل مجرد التقدم؛ ويشرح القائمون على هذا الامتحان ذلك بقولهم: إن نتائج هذا الامتحان هي لقياس كفاية التدريس في الجامعات، وهي جزء من عملية التصنيف التي تجري لهذه الجامعات، وليس لاختبار الطلبة فيما درسوه. ولا أدري ما الذي يمنع من تحقيق الحسينيين: تصنيف الجامعات، وتصنيف الطلبة معاً؛ فإن عدم اشتراط النجاح لا يعطي الطلبة حافزاً للاستعداد، ولا حتى أخذ الموضوع بعين الاهتمام.

وفي مسألة نتائج الطلبة في هذا الامتحان بمراحله الثلاث في السنتين الأخيرتين في أقسام اللغة العربية في الجامعات الأردنية يمكنني أن أعطي تشخيصاً سريعاً؛ إذ تبدو النتائج مذهلة (بالمعنى السلبي)، ونسبة النجاح لا تزيد عن ٣٥% في المجالات المعرفية للتخصص، وهناك فقر حاد في كفايات النحو والصرف والكتابة، وكذلك في البعد المعرفي لفروع الأدب واللغة المختلفة.



وحول هذا الامتحان أود تسليط الضوء على القضايا الآتية:

١. لا بد من اتفاق العاملين في حقل التخصص على الكفايات الوسيطة لخريج الآداب، وبالتالي سينعكس ذلك في متطلبات الكلية للوفاء بهذه الكفايات.

٢. لا بد من الاتفاق بين العاملين في هذه الأقسام على الكفايات التفصيلية لخريج قسم اللغة العربية وآدابها، وأن تتقارب الخطط الدراسية بحيث تلبي هذه الكفايات، وأن يترجم هذا في امتحان الكفاية التخصصي لخريج قسم اللغة العربية. أما الحاصل حالياً؛ فهو أن هذا الامتحان عبارة عن اجتهاد خاص لواعيه، مع وافر الاحترام لهذا الاجتهاد، ولا ينبثق عن رؤية جمعية للكفايات الواجب توافرها في خريج قسم اللغة العربية.

#### برامج الدراسات العليا في أقسام اللغة العربية في الجامعات الأردنية

ههنا ملاحظات عامة، وليس دراسة تفصيلية لبرامج الدراسات العليا في هذه الأقسام؛ فالأمر يستحق مؤتمراً علمياً كاملاً، ولا يمكن أن يشخص الحال في بضع أوراق هنا.

وابتداءً نقول: إننا لا نجد تكاملاً في هذه البرامج، ونراها تكرر نفسها في الجامعات المختلفة، ولا نجد تخصصاً في حقول اللغة والأدب في هذه الجامعات؛ فلو تخصص قسم ما بالعلوم اللغوية القديمة، وتخصص آخر بالعلوم اللغوية الحديثة، وتخصص قسم ثالث بالنقد الأدبي، وتخصص قسم رابع بنحو النص وتحليل الخطاب، وخامس بنظريات الأدب، وهكذا؛ لكننا ضمناً توسعاً عمودياً يتسق مع فكرة الدراسات العليا.

كما نجد الأدواء ذاتها في الخطط، وفي الطلبة، وفي أعضاء هيئة التدريس، والطامة الكبرى في الرسائل الجامعية التي كتبها أولئك الطلبة، ففضلاً

عن رداءة الموضوعات وانبتاتها عن حركة الحياة، نجد ضعفاً كبيراً في الإشراف، وما ينجزه الطلبة لا يدعو للرضى أبداً وتجد أخطاء طلبة الدراسات العليا هي كما لو كانوا في السنة الأولى في مرحلة البكالوريوس، فما فضل الدراسة عليهم في مواقف الأداء؟ وما نراه مشرقاً في هذا الجانب هو جهد فردي لأستاذ هنا أو طالب هناك.

إن مستقبل البحث العلمي في الدراسات اللغوية، في ضوء ما هو كائن، هو استمرار للحلقة المفرغة في اجترار موضوعات لا علاقة لها بالوظيفة الرئيسة للغة وهي التواصل والتفاعل، أما في ضوء ما يمكن أن يكون أو ينبغي فإن مستقبلاً واعداً ينتظر الدراسات الأدبية واللغوية، وذلك حين تجعل نصب عينيها الاهتمام الرئيس للإنسانيات عموماً، واللغة خصوصاً، وهي الوجه المعبر عن الإنسان والحياة، وهو فهم ردود أفعال البشر على الأحداث والوقائع وفهم المعاني التي يسبغها البشر على خبراتهم باعتبارها دالة الثقافة والتاريخ والحياة.

ودعوني أميل إلى التطرف قليلاً، فأقول: إنه لا قيمة لبحوثنا ولا لدراساتنا ما لم تتصل بسبب وثيق بالإنسان والحياة، وإن دراستنا لم تفض إلى نتيجة ذات بال في السؤال الكبير عن علاقة اللغة بالحياة، وكيف يمكن أن تكون هذه اللغة أدواتنا في جعل الحياة مكاناً أكثر ملاءمة للعيش الرغيد، ولم تفض بنا إلى نتيجة عن علاقة اللغة بالسلم الأهلي والعالمي، ولم تفض بنا إلى نتيجة عن علاقة اللغة بمشكلات الاقتصاد والسياسة وحتى العلاقات الزوجية، وكيف يمكن لرسالة لغوية من طراز ما أن تعيد تشكيل العلاقة بين اثنين تشكيلاً جديداً.

إن دراستنا ينبغي أن تنصرف إلى الوقوف على الكيفية التي تكون بها رسائلنا اللغوية مقبولة وناجحة في سياقها. وكيف نتلقى تلك الرسائل اللغوية تلقياً

صحيحاً بكافة أدوات الفهم والثقافة والشروط النفسية للتلقي الناجح، ثم كيف يتفاعل المتلقون معها تقبلاً أو اقتناعاً أو رفضاً أحياناً.

أما كيف نفعل ذلك فهو سؤال كبير جداً، أخصّه بفاتحة الرؤية وأترك أبعادها المناسبة في عالم الاجتهاد:

لا بد من تعظيم الدراسة التداولية للغة؛ أي علاقة اللغة بمتداوليها، ولا بد من هذا التداخل على حد الاشتباك بين كل الظواهر التي تشكل الإنسان باعتباره نصاً حياً قابلاً لكثير من القراءات، وأقصد: الاجتماع، وعلم النفس، والأنثروبولوجيا، وغيرها. وربما استحضرننا هنا مقولة الجاحظ: "والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معاني العامة، وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال".<sup>(٩)</sup>

ولذا يجدر بنا تفعيل البحث العلمي والدراسات التطبيقية في مجال علم اللغة الاجتماعي وعلم اللغة النفسي، ولا بد من تعظيم الاهتمام بالسيمياثيات التي تهتم بكل مجالات الفعل الإنساني، بدءاً من الانفعالات البسيطة، ومروراً بالطقوس الاجتماعية، وانتهاءً بالأنساق الأيديولوجية الكبرى. إن مظاهر الوجود اليومي للإنسان تشكل موضوعاً للسيمياثيات؛ فالضحك والبكاء والفرح واللباس وطريقة استقبال الضيوف وإشارات المرور والطقوس الاجتماعية؛ كلها علامات تحتاج إلى الكشف عن القواعد التي تحكم طريقتها في إنتاج معانيها، خاصة في هذا العقد الذي يسمى عصر الإشهار والدعاية.

ولا بد من تعظيم الاهتمام بتحليل الخطاب وربطه بالسيمياثيات وبمباحث التأويل؛ حيث تنتقل العلامة اللغوية من سياقها إلى سيرورتها التدليلية وعلاقتها

بالإنتاج والتأويل، وصولاً إلى الفاعلية التواصلية التي تؤدي إلى الاتفاق والتفاهم، وربما أمكننا عندئذ عبر بحوثنا التطبيقية في أقسام اللغة العربية أن نخبر وزير دفاع ما كيف يمكن عبر اللغة أن يتجنب حرباً، وربما أمكن حينئذ أن نخبر زوجاً ما كيف يمكن أن يزيل حائط الصد الذي تقابله به زوجته كلما استغلقت بينهما سبل الحوار، وكيف يمكن لأب مفعوع أن يتواصل مع ابنه المدمن على المخدرات، وربما أمكننا عندئذ أن نجعل من الحياة مكاناً أسهل للعيش، مكاناً أكثر ملاءمة، مكاناً يتواصل الناس فيه بأقل كلفة ممكنة، وربما أمكننا حينئذ أن نجعل من الحياة مكاناً يستحق الحياة.

دعونا ندرس اللغة في طور الاستعمال وليس في طور التنظير، ودعونا ندرس الجملة منجزاً بالفعل وليس منجزاً بالإمكان على طريقة "أقائم الزيدان" التي نفرت الطلبة من النحو وأبعدتهم عن دروبه التي يفترض بها أن تهديهم سبيل الرشاد اللغوي في أحسن تجلياته، دعونا ندرس اللغة حية كما أرادها الله أن تكون؛ حيث تحول الإنسان بها من مجرد مخلوق يفسد في الأرض إلى قديس استحق أن تسجد له الملائكة عبر: "إني أعلم ما لا تعلمون".

ربما عندها، وعندها فقط، يمكننا أن نقنع (سنو)<sup>(١٠)</sup> وكل الذين يعتقدون بما قاله من أن الإنسانيات ليست ذات فائدة تذكر في حل مشكلات المجتمع الضاغطة، وأن نعيد الأمور إلى نصابها؛ في أن درس اللغة هو المفتاح الأمثل للولوج إلى عالم جديد تكون الكلمة فيه للإنسان؛ الإنسان كلاً واحداً قادراً على التعبير عن حاجاته بلغة راقية لا تثير الحروب، وإنما تبني الجسور وتعزز العلاقات، ودور البحث العلمي في أقسام اللغة العربية أن يوصلنا إلى هذه النتيجة وأن يمضي بنا قدماً نحو هذا العالم الجديد.

## مقترحات عملية للارتقاء بواقع التعليم في أقسام اللغة العربية

أ- بناء الخطط الدراسية وفق رؤية كلية شاملة لتحقيق أهداف واضحة، وبجهد جمعي يفيد من كل الخبرات الرائعة في الوطن، وليس صعباً أن تعقد ورشة متخصصة برعاية هيئة الاعتماد لهذه الغاية، تجمع أقسام اللغة العربية جميعها في الأردن، ويكون نتائجها خطة دراسية محكمة واحدة للجميع.

ب- الانفتاح في هذه الخطط على العلوم الإنسانية الأخرى لصلتها الوثيقة باللغة العربية.

ج- تحديد متطلبات كلية الآداب، بحيث تعمل هذه المتطلبات على بناء الإطار الثقافي المنشود لطالب الآداب عموماً، وطالب العربية خصوصاً من فلسفة وتاريخ وسياسة وعلم نفس وغيرها.

د- لعله من المأمول من هذه الأقسام الاستفادة من التكنولوجيا في تعليم العربية.

هـ- تطوير مدقق نحوي وآخر إملائي بجهد علمي من هذه الأقسام بالتعاون مع كليات تكنولوجيا المعلومات في هذه الجامعات.

و- أن تقوم هذه الأقسام بدورها في تعظيم المحتوى العربي على شبكة الإنترنت بالإفادة مما تتيحه اللسانيات الحاسوبية في هذا الشأن.

ز- تطوير امتحان الكفاية الجامعية في حقل التخصص بتضافر جهود كل المعنيين في هذا الشأن.

ح- إحياء فكرة التعليم المستمر لأعضاء هيئة التدريس بغرض إطلاعهم على كل جديد في مجال التخصص؛ فبعض الأساتذة يحفظون مادتهم عن ظهر

قلب، ولا تتغير هذه المادة طوال عقود، بل إن الامتحان هو هو نفسه طوال هذه العقول.

ط- إعادة الاعتبار لبرامج الدراسات العليا في اللغة العربية بحيث تكون متميزة وعلامة فارقة في سجل هذه الأقسام وفق الرؤية التي أشرنا إليها في التوصيف.

ي- تطوير الأنشطة المرافقة للخطة الدراسية بحيث تنتج طالباً قادراً على ممارسة اللغة في مواقف الأداء المختلفة.

ك- تطوير طرائق التعليم على أساس الكفايات، مع الموازنة بين الكفاية والأداء، والتعليم بأسلوب الكفايات أثبت نجاحات فاعلة في مجال تعليم اللغات، مع تطوير عمليات التقويم بحيث تكون متنوعة وشاملة وتركز على جانب الأداء، وتطوير أساليب التدريس في هذه الأقسام.

وقد عقد ملتقى للكفاية الجامعية في ميدان اللغة العربية في العام الدراسي ٢٠٠٥/٢٠٠٦ بجهد مشترك من الجامعتين: الأردنية والهاشمية بإشراف مباشر من أستاذنا أ.د. نهاد الموسى، وقد خلص الملتقى إلى توصيف عام للكفايات التي ينبغي التوقف عندها في المساقات التي تدرس في تخصص اللغة العربية، وخلاصة هذه الكفايات ما يلي<sup>(١١)</sup>:

١. المستوى الموضوعي (المعرفي)، وينتظم: الأصوات، والصرف، والدلالة، والنظم، والإعراب، والبيان، ونظام الكتابة.

٢. المستوى الوظيفي: شكل أواخر الكلم، ضبط أبنية الكلم، والكتابة الصحيحة، والترقيم والفهم والاستيعاب، والتلخيص والتعبير.

٣. المستوى المنهجي: استعمال المراجع الأساسية، واستعمال المعجم، واستعمال المعاجم الاصطلاحية، وغيرها.

٤. المستوى التطبيقي الخاص: اكتشاف الأخطاء النحوية والصرفية، وتصحيحها، وأحكام العدد، وأحكام همزات الوصل والقطع، وإسناد الأفعال إلى الضمائر، وغيرها.

٥. المستوى الفني الإنشائي، مثل: تحرير نص للنشر، إنشاء مقالة، قصة، تحويل السرد إلى حوار، وغيرها.

أما تجليات الكفاية فينبغي أن تمر بنصوص من: التنزيل، والحديث، والأمثال، والوصايا، والخطب، والحكاية، والمقامة، والسير، والرواية، والقصة القصيرة، والمسرحية، والمقالة، والشعر الحديث، والإعلان. ولا بد من تمييز في مستويات المتخصص ترصدها نماذج تقويم في ظل الكفاية.

وليس من الصواب تعليم العربية أشلاء متباينة، فإن الشكل والمضمون في اللغة وحدة عضوية لا تنفك، وإن تجزئة اللغة من هذه الجهة لا يستقيم.

أما تقييم الكفايات فينبغي أن يعتمد على معيار دقيق، يضمن إتقان الطالب للنظام الصوتي والصرفي ونظام النظم والإعراب ونظام الكتابة في مستوى الأداء الوظيفي، ويتمظهر هذا الأداء في القراءة بالعربية قراءة جهرية جارية على وفق القواعد، شفاقة عن متباينات المعاني وغيرها.

## خاتمة

إن هذه الورقة العلمية وصّفت الحال في تعليم العربية في أقسام اللغة العربية في المملكة الأردنية الهاشمية بصورة سريعة ومكثفة في مجال: الخطط، والطلبة، وأعضاء هيئة التدريس، والبرامج المرافقة للمنهاج، وبرامج الدراسات العليا، وامتحان الكفاية الجامعية، وقدمت مجموعة من التوصيات العملية في كل جانب من هذه الجوانب.

وعلىنا أن نبدأ سريعاً من خلال جهد جمعيّ مشترك؛ فالعربية لغتنا جميعاً، وهي عنوان هويتنا الجامعة، وشأنها يعني الجميع، لكن أقسام اللغة العربية هي في طليعة هذا الجميع، ودور هذه الأقسام مركزي، وهو دور فاعل ومؤثر، باعتبارها بيتاً للخبرات اللغوية والأدبية، ويعوّل على سرعة حركتها وديمومة هذه الحركة الكثير، شريطة أن تكون هذه الحركة في الاتجاه المناسب، وبالتنسيق المشترك مع كل الشركاء الفاعلين في هذا المجال.

إنّ وضوح الخطة ووضوح الرؤى، وتقسيم الأدوار، وتضافر الجهود، كل ذلك هو أدواتنا في التغيير الفاعل المثمر في خدمة لغة التنزيل.



## الهوامش

١. ميالاريه، غاستون، المعلم الفعال، تعريب فؤاد شاهين، منشورات عويدات، بيروت، ط١، ١٩٦٦، ص٦.
٢. عمائرة، إسماعيل، نظرات في التعليم الجامعي في أقسام اللغة العربية، ورقة مقدمة إلى ندوة "اللغة العربية متطلباً جامعياً"، الجامعة الهاشمية، ٢٠٠١، ص١.
٣. عمائرة، خليل، نحو اللغة وتراكيبها، جدة، ١٩٨٤، ص٥٥.
٤. علي، نبيل، الثقافة العربية وعصر المعلومات، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٢٧٦، ديسمبر، ٢٠٠١، ص٩.
٥. عمائرة، نظرات في التعليم الجامعي، ص٤.
٦. نفسه، ص٦.
٧. عبدالرحمن، عائشة، لغتنا والحياة، دار المعارف المصرية، القاهرة، ١٩٦٩، ص٧.
٨. الموسى، نهاد، الأساليب: مناهج ونماذج في تعليم العربية، دار الشروق، ط١، ٢٠٠٣، ص١٦٦.
٩. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، ت (٢٥٥ هـ)، البيان والتبيين، تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٧٥، ج١/ص١٣٦.
١٠. كيغان، جيروم، الثقافات الثلاث، العلوم الطبيعية والاجتماعية والإنسانيات في القرن الحادي والعشرين، ترجمة صديق محمد جوهر، المجلس القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٤، ص٩.
١١. ما زالت أوراق هذا الملتقى مخطوطة في أروقة قسم اللغة العربية في الجامعة الهاشمية.

## التعليقات والمناقشات

### د. ناصر شبانة

شكر المجمع على جهده المميز، وتساءل: هل ترك الأساتذة في قسم اللغة العربية في الجامعة الأردنية جيلاً يسدُّ مكانهم؟ وهل كانت لديهم مواقف تدافع عن الحق وتدفع الباطل في القسم؟ وهل كان لهم موقف من التعيين في القسم بالواسطة والمحسوبية؟

### أحد الحضور

بيّن أن كلية الآداب هي كلية البيان والمكان والزمان والعمران وفن الإمكان، وأن الإنسانيات أساس العلوم، ويرى أن أهداف تعليم اللغة العربية غير واضحة في أقسام اللغة العربية، ولا بد من خطة إنقاذ كبرى لهذه الأقسام.

### د. عودة الله القيسي

دعا إلى ضرورة إدراك الفروق الفردية بين الناس، وإلى أن يكون وقت الرسالة (في الدراسات العليا) مفتوحاً منعاً لتلفيق الرسالة، وإلى أن يُسمح فقط بتحقيق المخطوطات التي فيها جديدٌ ومضافٌ إلى العلم في زمانها، وإلى ضرورة أن يكون المنهاج موجّهاً للطالب إلى أن يعرف كيف يعرف لا أن يحفظ، وإلى ضرورة إخضاع أساتذة الجامعات لدورة في التربية والتعليم.

وفي رأيه أن الطالب لا يستفيد من المراجع الكثيرة الموجودة في رسالته، وكثيراً من المشرفين يجمعون الطلاب، ويفرضون رأيهم عليهم.

## أحد الحضور

تساءل: كيف يمكن إيقاف الابتذال في تعيين بعض أساتذة الجامعات؟ وماذا

يعني هذا السكوت عن هذا الأمر؟

## أحد الحضور

اقترح أن تُراجع رسائل الماجستير والدكتوراه من المجمع قبل أن تناقش،

مقابل مبلغ مالي.

## د. عبد الجليل عبد المهدي

تمنى تجنب المبالغة في عرض الوجه السلبي فيما يتعلق بالطالب والأساتذ

والبحث وغيرها، وعرض الوجه الإيجابي.

## ردّ الدكتور نهاد الموسى

بيّن أن السؤال العملي المتعلق بالمستقبل أصبح هاجساً مؤرقاً لكل من

يدخل قسم اللغة العربية، وهناك حاجة لخطاب مباشر يجعل الطالب على بينة

من أمر ما يمكن أن ينتظره في حياته العملية في مثل هذا التخصص.

ووضح أن الأساتذة في قسم اللغة العربية ليسوا منفصلين عن سياقهم

الاجتماعي، ودفع اللوم الملقى على عصره، وقال: إننا تجردنا للحق بما أمكننا.

## ردّ الدكتورة خلود العموش

بينت أنه من المأمول من أقسام اللغة العربية أن تقوم بتطوير مدقق

نحوي وإملائي للحاسوب بالتعاون مع كليات تكنولوجيا المعلومات.

وأضافت أنها تأمل تطوير امتحان الكفاية الجامعية في حقل التخصص

بتضافر جهود كل المعنيين في هذا الشأن.